مجلد(05) عدد(02) فيفري2021 ISSN : 2437-0703 EISSN :2600-6448

الصراع محركاً للتاريخ
-الديالكتيك الهيجلي-

الاسم واللقب: حسن سليمان قيلي
مختبر:.....
كلية: الآداب **جامعة:** الخرطوم **البلد:** السودان
البريد الالكتروني:hassanwadgailly@gmail.com

Name & Surname:...حسن سليمان قيلي .....
Laboratory:.....
Faculty:.....University :.....Contery:.....
Email: hassanwadgailly@gmail.com

قُدم للنشر في: 2021-01-11 قُبِل للنشر في: 2021-01-14 **نشر في:** 2021/02/26

Received:11-01-2021 **Accepted:**14-01-2021
bublier le : 26/02/2021

ملخص

يهدف البحث إثبات أن فكرة الجدل أو الصراع عند هيجل من المحركات الرئيسية للتاريخ، وأن مسيرة التاريخ معلولة لفكرة الديالكتيك. وأن التناقض هو مبدأ كل حركة وكل حياة، وكل تأثير فعال في عالم الواقع في التاريخ. وأن جوهر التطور في التاريخ هو نتيجة لصراع المتناقضات.

وقد استخدم الباحث مناهج البحث التاريخي ومنهج النقد والتحليل.

وقد خلص البحث إلى عدد من **النتائج** أهمها: أن مسيرة التاريخ ليس متروكة للصدف وإنما هي محكومة بسنن الجدل وأن التطور الجدلي يتم بطريقة مستقلة عن إرادة الإنسان.

كل مرحلة من المراحل التاريخية هي سلب للمرحلة السابقة غير أن السلب لايعني الهدم أوالفناء، وإنما كل مرحلة "تنفي وتحتفظ" في وقت واحد بالمرحلة السابقة.

Abstract

The research aims to prove that the idea of controversy or conflict for Hegel is one of the main engines of history, and that the course of history is explained by the idea of dialectics. And that contradiction is the principle of every movement and every life, and every effective influence in the real world in history. And that the essence of development in history is the result of the conflict of contradictions. The researcher used the methods of historical research and the method of criticism and analysis. The research concluded with a number of results, the most important of which are: that the march of history is not left to chance. Rather, it is governed by the laws of controversy, and that the dialectical development takes place in a manner independent of the human will. Each of the historical stages is the dispossession of the previous stage. However, dispossession does not mean demolition or annihilation. Rather, each stage "denies and preserves" at the same time the previous stage.

مجلد(05) عدد(02) فيفري2021 ISSN : 2437-0703 EISSN :2600-6448

مقدمة

لقد ارتبط تحقق السنن التاريخية عند كثير من المذاهب الفلسفية بمعاني الصراع والجدل، أي أن تحقق السنن التاريخية وعملها ارتبط بتناقض وتلاقي المتناقضات مما يولد الفعل التاريخي. وتأتي الفلسفة المثالية المطلقة عند الفيلسوف الألماني جورج فلهلم هيجل، على القمة من هذه الفلسفات التي تبنت مفهوم أن الصراع (الجدل)؛ هو المحرك الرئيسي لمسيرة التاريخ وأن التاريخ يتطور من خلال صراع (جدل) المتناقضات.

ما هو الصراع " الديالكتيك" ؟

إن كلمة ديالكتيك تعني النطق والكلام، ولهذا يقولون إن بعضا من علم الكلام الإسلامي هو ترجمة للديالكتيك، والمنطق الأرسطي كان من هذا القبيل حيث إن المسلمين طرحوا مقابله الديالكتيك أي علم الكلام (المعنى اللغوي له). أما المعنى الاصطلاحي له فهو الوصول إلى الحقائق واثبات الهدف عن طريق الكشف وتعقيب المتناقضات في الفكر والقول[1].

وأشهر المباحثات الديالكتيكية وأقدمها طريقة سقراط في الجدل ، حيث كان سقراط بواسطة هذا الأسلوب يكشف المتناقضات الكلامية .

والنقيض في لغة المنهج الجدلي "الديالكتيك" هو الذي ينظر إلى الأشياء لا من خلال انفصالها عن بعضها انفصالاً مطلقاً بل من خلال ارتباطها بعضها مع بعض بعلاقات جدلية، علاقات تنتهي بالنقيضين إلى شئ ثالث يتجاوزهما وفي نفس الوقت يحتفظ بشئ منهما. والمهم في مجال العلاقات الجدلية هو أن نتاج النقيضين يمثل "دائماً" تقدماً بالنسبة إلى الطرفين الذين يدين بالوجود لهما. وهذا هو معنى "التجاوز" ويعبر عنه أحياناً ب "التركيب" وفي اللغة الجدلية يسمى "نفي النفي" فنحن ننطلق في تعاملنا مع الأشياء من إثبات صفة أو حكم لها، وأول مانثبته للأشياء عند كلامنا عنها هو "الوجود" ونقيضه "العدم" وهو"نفي الوجود".

والناتج من دخول الوجود والعدم في علاقات جدلية هو "نفي النفي" فإذا أثبتنا الوجود ونفيناه ثم نفينا هذا النفي فإن الناتج يكون شيئاً آخر نسميه الصيرورة ولهذا نقول إن ما هو موجود ليس "الوجود" وحده، ولا نقيضه "العدم" وحده، بل التحول المستمر من وجود إلى عدم

[1] شريعتي، د.علي، تاريخ الحضارة،ترجمة: حسين نصيري، دار الأمير، بيروت . لبنان،1426هـ.2006م، ص638

ومن عدم إلى وجود وهذا التحول المستمر هو ما نسميه ب "الصيرورة " ومن هنا فإن العالم كله ظواهر تحكمها الصيرورة، فهو كالنهر " لا تستطيع أن تستحم فيه مرتين، فماؤه ينساب باستمرار (كما قال الفيلسوف اليوناني هيراقليطس)[1]

إن طريقة الجدل تكررت وتجددت في ديالكتيك هيجل مع وجود اختلاف وهو أن ديالكتيك هيجل هو عبارة عن فهم ظواهر العالم والفعل والانفعالات الوجودية على أساس كشف قانون التناقض والتضاد والاعتقاد بهذا الأصل الذي ينتج ويظهر نتيجة لصراع هذين المتناقضين، والاعتقاد الآخر عندهم أن هذا الصراع بين المتناقضات صراعاً دائماً في كل مكان، وإن كل ظاهرة سوف تظهر نقيضها بصورة جبرية. لذلك فإن الديالكتيك عنده مبني على أسس ثلاثة هي:.

(1)الأصل (2) نقيض الأصل (3) النتيجة الحاصلة من صراع هذين النقيضين.

بمعنى أن كل أصل يكون مظهراً لنقيضه ومن صراع الأصل ونقيضه فإن ظاهرة جديدة سوف تظهر إلى الوجود[2].

ويرجع أصل الديالكتيك إلى أن الشئ الوحيد الثابت في الكون هو التغير . وإذا لم يكن التناقض موجود وهو أصل الحركة والتكامل وهو مثل المحرك بالنسبة للطبيعة .فإنه لا يمكن أن يحصل تغيير وتكامل وتحول، ولكن حينما يكون التناقض موجود فهناك صراع مستمر وتحول وتغيير، والفيزياء تثبت ذلك، حيث إن التناقض موجود، فالذرة متكونة من جمع ضدين فالبروتون وهو العنصر الموجب والإلكترون وهو العنصر السالب، ففي نفي احدهما للآخر تثبت الذرة وكذلك فإن القوة الجاذبة والدافعة بجمعهما تظهر حركة الذرة ... والتناقض موجود في كل مخلوق وموجود في عالم الطبيعة والحياة وفي التاريخ والمجتمع والأفكار. والصراع والتناقض موجود أيضاً في الروح والثقافة[3]

والصراع ظاهرة كونية تشمل الطبيعة والفكر والمجتمع. أي أن الصراع ظاهرة تمتد لتشمل كل قوى التاريخ البشري وغير البشري، والصراع هو نتاج لقوى جوهرية وحقيقية أكثر عمقاً

[1] الجابري، د. محمد عابد، في مفهوم النقيض.. والديالكتيك السلبي http:// www.aljabriabed.net | terrorism21.htms

[2] شريعتي، تاريخ الحضارة، مرجع سابق، ص639

[3] شريعتي، تاريخ الحضارة، مرجع سابق، ص657

وهي التناقضات. فالتناقض هو الجذر الأساس لكل تطور وحركة وتغير ومن هنا تأتي أهمية قانون وحدة وصراع الأضداد[1]

فهذا القانون يبحث على عكس المادية الميكانيكية التي تبحث عن القوى الخارجية، فهو يبحث القوى الداخلية للأشياء باعتباره قانوناً جدلياً يكشف عن القوى الدافعة للتاريخ. وهذا القانون يؤكد دور القوى الداخلية، دور التناقض والتوتر داخل بنية أي ظاهرة، ويجيب عن السؤال الأساسي في التقدم وهو ما الذي يحرك الأشياء؟ وماالذي يصنع التاريخ؟[2]

وقانون وحدة وصراع الأضداد لا يلغي دور المتناقضات الخارجية شريطة أن تكون في إطار الطبيعة المادية للمجتمع والطبيعة، ويوضح لنا ترابط الأجزاء والعوامل ويؤكد التأثير المتبادل للأشياء والظواهر بمعنى أن العلة الأساسية لتطور الأشياء وتقدمها لاتوجد خارجها، وإنما تكمن في جوفها، فالطبيعة المتناقضة هي خاصية ماهوية للأشياء ... وصراع الأضداد هو الذي يولد الحركة ويبعث على التطور[3]

ويرى إنجلز أن التناقض ضروري لاستمرارية الحياة فلو أن جميع التناقضات قد أزيلت نهائياً لكنا قد وصلنا إلى مايسمى بالحقيقة المطلقة ولكان التاريخ العالمي قد انتهى، ولكنه كان يجب عليه في الوقت نفسه أن يستمر حتى لو لم يبق شئ للعمل، وهكذا يظهر تناقض جديد[4] وهكذا ترى المادية الجدلية أن كل شئ طبيعي، وكل ظاهرة تشتمل على طرفي نقيض، ولايمكن أن يظل هذين الطرفين في سلام، فمن المحتم أن يتولد الصراع بينهما، وهذا الصراع لا يفضي إلى وحدة الشئ أو الظاهرة، بل يفضي إلى تغلب الطرف المعبر عن التقدم على الطرف الآخر فيحدث التحول وهذا هو السبيل إلى التطور[5].

ويرى ماوتسي تونغ* أن الاعتماد المتبادل بين طرفي كل تناقض في كل شئ والصراع بينهما يقرران حياة ذلك الشئ ويدفعان تطوره إلى الأمام، فليس ثمة شئ ليس به تناقض، ولولا

---

[1] الكحلاوي، فلسفة التقدم، دراسة في اتجاهات التقدم والقوى الفاعلة في التاريخ . مكتبة مدبولي، القاهرة،2002م.، ص219

[2] المرجع السابق، ص 219 ـ 220

[3] إمام عبدالفتاح، المنهج الجدلي عند هيجل، دارالتنوير للطباعة والنشر، بيروت،ط3، 1986م، ص310

[4] الكحلاوي، فلسفة التقدم، مرجع سابق، ص221

*ماوتسي تونغ، فيلسوف وحكيم صيني، كان رئيساً لجمهورية الصين، له مؤلفات فلسفية عديدة أهمها كتابه " مختارات فلسفية".

[5] محمد،علي عبدالمعطي، الفكر السياسي الغربي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية،1993م، ص398

التناقض لما وجد شئ، إن التناقض هو أساس الأشكال البسيطة للحركة الميكانيكية، وهو بالأحرى أساس الأشكال المعقدة للحركة[1].

الصراع عند هيجل

لقد تصور هيجل لتطور التاريخ منهجاً أطلق عليه "الديالكتيك" وهو عبارة عن "منطق دينامي" ذي أطوار ثلاثة هي: "الموضوع" و "نقيض الموضوع" و"مركب الموضوع". ومعنى هذا السير الثلاثي للفكر والتاريخ هو أن العقل البشري يبدأ بتقرير حقيقة ما "كأن يقول مثلاً إن الوجود موجود" لكي لا يلبث أن ينكر هذه الحقيقة "كأن يقول إن الوجود غير موجود" ثم ينتهي به الأمر إلى سلب تلك القضية الإنكارية بأن يقول مثلاً "إن الوجود هو الصيرورة، باعتبار أن الصيرورة مزيج من الوجود واللاوجود" وقد حاول هيجل أن يطبق منهجه الديالكتيكي على شتى مظاهر التطور التاريخي، فبين أن قوام الحياة البشرية هو الصراع والتناقض والتوتر والحركة المستمرة، وثار على كل تلك النزعات الفلسفية القديمة التي لا تنظر إلى الوجود إلا على أنه حقيقة ثابتة مستقرة[2]

ويرى هيجل أن التناقض هو مبدأ كل حركة وكل حياة، وكل تأثير فعال في عالم الواقع وإذا كان الكون . ابتداءً من الحصاة الصغيرة حتى الروح البشرية . يمثل "كلاً موحداً" تجمع بين ظواهره المختلفة علاقات متبادلة، فإن مهمة الفلسفة إنما هي العمل على اكتشاف تلك العلاقات الضرورية، والوقوف على مظاهر الاختلاف التي تنشأ في كنف ذلك الكل والانتباه إلى الوحدة الحقيقية التي تجمع بين تلك الظواهر المتناقضة[3]

كما يرى هيجل أن أية ظاهرة على العموم متناقضة، بمعنى أنها تطور انطلاقاً من ذاتها، وأن الأشياء جميعاً تتغير، ليس ثمة قوة قادرة على إعاقة هذا التيار المستمر أو إيقاف هذه الحركة الأبدية، ليس ثمة قوة قادرة على مقاومة جدلية الظواهر وأن الجدلية هي روح أية معرفة علمية[4].

---

[1] تونغ، ماوتسي، المختارات، ج1، ط2، دار الشعب للنشر، بكين، 1977م،ص461

[2] إبراهيم، د. زكريا، مشكلة الفلسفة، مكتبة مصر، ط1967،3م، ص31-32

[3] إبراهيم، د.زكريا، هيجل أو المثالية المطلقة، مكتبة مصر، 1970م، ص154

[4] بيلخانوف، المؤلفات الفلسفية، دار دمشق، سوريا، ط1، 1982م ، مج1، ص488

كيف يبدأ الجدل عند هيجل؟

في سؤال رئيسي لكيف يبدأ الجدل الهيجلي؟ يرى هيجل أن المقولات هي نسق العقل، ومن ماهيته أن تكون العملية كلها ضرورية لا أن تكون مصادفةً واتفاقاً. إنها لا تبدأ وتنتهي كيفما اتفق وإنما تسير بمقتضى طبيعة العقل نفسه، فإذا مابدأ المنهج الجدلي سيره كيفما اتفق دل ذلك على أنه بدأ بداية غير عقلية. ومن ثم فلابد أن تكون المقولة الأولى هي المقولة الأولى بالضرورة العقلية الخالصة. ولا تنطبق هذه الملاحظة على المقولة الأولى وحدها ولكنها تنسحب كذلك على المقولة التي تليها، ثم تنطبق أيضاً على سلسلة المقولات كلها بمعنى أنها لابد أن تكون ضرورية. ولابد أن تحددها طبيعة العقل نفسه لا أن نحددها نحن، والواقع أن سير المنهج الجدلي يسير سيراً تلقائياً ذاتياً فهو منهج موضوعي يوجد مستقلاً عنا، وسلسلة المقولات التي يكشف عنها سير المنطق لا دخل لنا فيها[1]

ويرى هيجل أن أول المقولات التي يبدأ منها المنهج الجدلي هي مقولة الوجود الخالص، ذلك لأن المنهج إذا ما بدأ بغيرها فلابد أن يبدأ بشئ آخر أكثر تحديداً، ومن هنا فسوف يكون شيئاً متوسطاً لا مباشراً ... مع أن المنهج لم يخط خطوته الأولى بعد. ومعنى ذلك أننا لا نستطيع أن نبدأ بشئ عيني لأن الشئ العيني يتضمن في جوفه علاقات، وذلك يعني أنه يتضمن توسطاً وهو في هذه الحالة يكون نتيجة ولا يكون بداية ...لأن البداية لابد أن تكون مباشرة وخالصة أي لابد أن تكون هي الوجود الخالص[2]

أي أن المنهج الجدلي عند هيجل يسير من المجرد إلى العيني، أي انه منهجاً موضوعياً وليس منهجاً ذاتياً يضعه الباحث، وهو موضوعي لأنه يعبر عن نشاط العقل الموضوعي كما يتمثل في المقولات وتسلسلها. وهو عبارة عن منطق جديد هو منطق الحركة والتغير والتطور في مقابل المنطق الأرسطي الذي يرى أن للشئ هوية ثابتة ترى أن "الإنسان هو الإنسان" أي "أ هي أ " فجاء منطق هيجل الجدلي ليقول أن "الإنسان عاقل " ليقول "أ هي ب" غير أن الإنسان ليس عاقلاً فحسب ولكنه فان مثلاً "ج" وحيوان "د" واجتماعي "هـ" ...الخ. فالإنسان يمكن دائماً أن يكون

[1] إمام، المنهج الجدلي عند هيجل، مرجع سابق، ص140

*فرنسيس برادلي(1846. 1924) فيلسوف مثالي إنجليزي، كان على رأس الهيجلية الجديدة.

1 د.إمام ،المنهج الجدلي عند هيجل، مرجع سابق، ص141-142

موضوعاً لمحمول آخر، وكل محمول منها يخبرنا بشئ جديد عن حقيقة الإنسان. وهكذا نظر المنطق الهيجلي إلى الكون فرآه كلاً عضوياً حياً دائم الحركة والتطور[1]

ولما كانت الحركة نقص في الشئ والحركة مستحيلة على الشئ إذا كملت حقيقته كما قال برادلي*[2]. فالمنطق الجدلي عند هيجل يرى أن مايدفع الكون إلى الحركة هو مايكمن فيه من سلب وتناه، فالأشياء المتناهية أشياء ناقصة تبحث عن تمامها، ولهذا فهي تحاول جاهدة أن تحقق صورتها كاملة، وفي هذه المحاولة تلغي نفسها لتكون شيئاً آخر يعبر عن صورتها الحقيقية، وهذا الشئ الجديد بدوره يتطور إلى شئ آخر، وهكذا. والصورة الكاملة التي تحقق نفسها وتتفق مع فكرتها هي المطلق أو "الله" فالله هو الاتفاق الكامل بين الفكرة الشاملة والواقع[3]

أي أن المنهج الذي حبذه هيجل هو: منهج تحليلي وتأليفي في آن واحد ...فهو يدمج هذين المنهجين في ذاته بحيث نرى التحليل والتأليف في كل خطوة من خطواته، وهذا المنهج هو المنهج الجدلي، فهو منهج "مطلق" إذ ليس فيه أي افتراض من بدايته إلى نهايته، وهو عبارة عن المركب للمنهجين السابقين .. أما العلم الذي يختص بعرض هذا المنهج فهو المنطق[4]

والمنهج الجدلي يسير وفقاً لثلاث حركات، هي القضية ونقيضها والمركب منهما، مثل الوجود والعدم والصيرورة، والمركب الأخير يحوي بداخله كل خصائص القضيتين السابقتين وهنا نلاحظ وجود استمراريه، ولهذا فإن المنهج الجدلي هو منهج تاريخي[5].

ويقدم هيجل مثالاً حياً لمنهجه الجدلي فيما سماه بديالكتيك العبد والسيد أوجدل العبد والسيد، وهو جدل أوصراع بشري من أجل إثبات الذات تقوم به إرادتان، نجد إحداهما ترفض المخاطرة وتقبل الاستكانة ومن ثم تتفانى في إرضاء الإرادة الأخرى وإشباع رغباتها والانطواء تحت جناحها، بينما الإرادة الأخرى تكون هي إرادة التحدي وتمضي في هذا الطريق إلى غايته حتى تواجه الموت ولا تبالي لكن هذه المواجهة لتلك الإرادة مع الموت نفسه هي التي يكتب لها الحياة[6]

[1] إمام، المنهج الجدلي عند هيجل، المرجع السابق، ص143-145

[2] إمام، المرجع السابق، ص144

[3] إمام، المنهج الجدلي عند هيجل، مرجع سابق،ص143-146

[4] إملام، المنهج الجدلي، المرجع السابق، 18-19

[5] الكحلاوي، فلسفة التقدم، مرجع سابق، ص92

[6] هويدي، د.يحي، قصة الفلسفة الغربية، مرجع سابق، ص95-96

وعلى ذلك فإن الرابطة الديناميكية "أو الحركية" التي تجمع بين الجزيء والكلي، وبين الممكن والضروري وبين المتناهي واللامتناهي إنما هي الدليل على أن الديالكتيك عند هيجل ليس إلا مجرد تعبير عن نظرية وحدة الأضداد[1].

والسبب في صيرورة الوجود عند هيجل ربما كان هو استحالة التقاء البذرة بذاتها، ونزوعها نحو الاستحالة إلى شئ آخر. ولولا هذه العلاقة الوثيقة التي تربط الجزء بالكل، لما ظهر في صميم "البذرة الأولى" ذلك التناقض الحي الذي دفع بها إلى التطور والتغير والصيرورة[2]

وجوهر التطور عند هيجل هو نتيجة صراع المتناقضات على أساس أن كل ظاهرة تحتوي تناقضاً داخلياً يدفعها إلى الأمام ويؤدي بها آخر الأمر إلى تحطمها وتحولها إلى شئ آخر. إلا أن تحطم ظاهرة ما إنما هو الفرصة لانبثاق ظاهرة جديدة تدفع بلاشك الظاهرة السابقة، ولكنها في الوقت نفسه تحتوي في ذاتها على كل عناصرها الفعالة وبهذه الطريقة يتحول النظام إلى نظام آخر[3].

وهيجل يدعي أن الصيرورة ليست متروكة للمصادفة والأسباب العارضة بل هنالك إرادة مخططة وراءها، وهدف هذا الصراع والتوفيق إنما هو تطوير "روح العالم " التي تتجه دائماً نحو غايتها، ألا وهي تحقيق الذات (Self realization)[4]

وتعتبر عمليتا النفي والتركيب خطوتين جوهريتين في منطق هيجل الجدلي وكل عملية منهما تكمل الأخرى ، فهيجل يمضي دائماً من الفكرة إلى ضدها، أو من الدعوى إلى الدعوى المضادة لها. وليس النفي هو الكلمة الأخير في المنهج الجدلي إذ لابد من "نفي النفي" بمعنى أن الانتقال ليس من قضية إلى أخرى وإنما إلى أخرى أكمل منها أي أن الجدل ينتقل إلى تأليف جديد. أي أن هيجل يرى دائماً فوق كل مرحلة من مراحل تطور الفكر مرحلة أخرى مايزال في الإمكان بلوغها[5]

ولهذا فإن عملية التأليف لا تقل أهمية في منطق هيجل الجدلي عن عملية النفي.

وقد علق هيجل أهمية كبرى على مفهوم "التناقض" فدائماً مايتحدث عن موضوع ونقيض موضوع، أوعن حد إيجابي وحد سلبي أو عن قضية ونقيضها، والعالم حافل بضروب الصراع

[1] إبراهيم، زكريا، المنهج الجدلي عند هيجل، مجلة العربي، عدد78، مايو1965م، ص65

[2] إبراهيم، زكريا، هيجل أو المثالية المطلقة، مرجع سابق، ص155

[3] صديقي، د.عبدالحميد، تفسير التاريخ، ترجمة: كاظم الجودي ، الدارالكويتية للطباعة والنشر والتوزيع، بدون تارخ،ص24

[4] صديقي، تفسير التاريخ، المرجع السابق، ص63

[5] إبراهيم، زكريا، هيجل أو المثالية المطلقة، مرجع سابق، ص157

أو التعارض. والواقع شاهد بما ينشب بين القوى والقدرات والميول المتضاربة من تنافر يؤدي إلى الصراع. ولكن الصراع لايشبه علاقة التناقض التي تقوم بين "أ" و" لا أ" ، أو بين حد موجب وحد سالب، بل دائماً بإزاء حد موجب يقوم في وجه آخر موجب . ولو استخدمنا تعبيراً منطقياً لقلنا إننا هنا بإزاء "تضاد" لا "تناقض"[1].

وكل مرحلة من المراحل التاريخية عند هيجل هي سلب للمرحلة السابقة غير أن السلب لايعني الهدم أوالفناء، وإنما كل مرحلة "تنفي وتحتفظ" في وقت واحد بالمرحلة السابقة، فالسلب الجدلي هو سلب واحتفاظ معاً، هدم وتطور أبعد، ولا يكون النفي جدلياً إلا إذا كان مصدراً للتطور أي إذا احتفظ بالعناصر الأساسية في المراحل السابقة، وهذا مايحدث في جميع المجالات في التاريخ والمجتمع والفلسفة ... الخ[2]

والتطور عند هيجل لايسير في خط مستقيم وإنما هو يسير في طريق لولبي وتلك نتيجة مترتبة على الخاصية السابقة، والتطور الجدلي عنده يتم بطريقة مستقلة عن إرادة الإنسان لكن ذلك لايعني أن الناس ليسوا أحراراً، فهذا زعم الذين يعتقدون أن الضرورة التاريخية تسلب الناس حريتهم، فالحرية والضرورة التاريخية لا تجتمعان في نظرهم[3]

وكل ظاهرة تحوي في جوفها متناقضات متصارعة، وصراع الأضداد هذا هو الذي يولد الحركة ويبعث التطور، ولايمكن تصور أي شكل من أشكال الحركة بدون أضداده، فحتى الحركة الآلية البسيطة لا تتم إلا لوجود هذه الأضداد:

فعل ورد فعل، جذب ودفع، قوة طرد مركزية وقوة جذب مركزية،... بل هناك جوانب متناقضة ذاتياً داخل عملية المعرفة نفسها، فالإنسان يستخدم مناهج متضادة ومرتبطة في دراسته للأشياء، كالاستقراء والاستنباط، والتحليل والتركيب[4]. والواقع أن هيجل فطن إلى أن الصراع "الديالكتيك" هو وصف حي لشتى ضروب التنافر الشائعة في عالم الواقع لا جدل تصوري يقوم على علاقة التناقض، فمثلاً يتحدث في "فنومولوجيا الروح" عن علاقة السيد

[1] إبراهيم، زكريا، هيجل أو المثالية المطلقة، المرجع السابق، ص161-162

[2] إمام، د.إمام عبدالفتاح ، جدل الإنسان، دار التنوير، بيروت، ط1، 1984م ص84-85

[3] إمام، جدل الإنسان، المرجع السابق، ص84

[4] إمام، المنهج الجدلي عند هيجل، مرجع سابق، ص310

بالعبد، مبرزاً العلاقة بصورة صراع إيجابي دون أن يقتصر على القول بأنها مجرد تناقض بين حدين أحدهما موجب والآخر سالب[1].

ويشكل (الوجود، العدم، الصيرورة) أول مثلث هيجلي، المقولة الأولى في كل مثلث دائماً هي مقولة الإثبات أو الإيجاب، فهي تضع نفسها كفرض إيجابي مثل الوجود موجود ...الخ، والمقولة الثانية هي دائماً مقولة النفي أو السلب أو ضد المقولة الأولى، وهي تنكر ماتثبته المقولة الأولى فتتحدث عن اللاوجود أو تقول إن الوجود غير موجود...الخ، ولم يأت هيجل بهذه المقولة الثانية من مصدر خارجي، وإنما استنبطها من المقولة الأولى، وهذا يعني أن المقولة الأولى كانت تتضمن الثانية، وأن الأخيرة خرجت من جوفها، وهكذا تتضمن المقولة الأولى ضدها وتتحد معها. وعند هذه النقطة تقف المقولتان تواجه كل منهما الأخرى وتناقضها ولكن من المستحيل الركون لهذا التناقض، لأن ذلك يعني أن المقولات المتضادة يمكن انطباقها على شئ واحد في وقت واحد، فإذا كان لشيء ما "وجود" فلابد أن يكون له بالضرورة "لاوجود"، فإذا قلت إنه موجود فلابد أن تقول في نفس الوقت إنه غير موجود. ولكن كيف يمكن لشيء أن يكون ولا يكون في نفس الوقت؟ والجواب هو: أنه موجود وغير موجود في آن واحد حين يصير. ومن هنا فإن مقولة الصيرورة تحل هذا التناقض. وبعبارة أخرى فإن التناقض القائم بين المقولة الأولى والثانية يحل في مقولة ثالثة، فالمقولة الثالثة تحوي في جوفها تضاد المقولتين ولكنها تتضمن كذلك انسجامهما ووحدتهما، وعلى ذلك فالصيرورة هي الوجود الذي ليس وجوداً، أو هي اللاوجود الذي هو نفسه وجوداً ... وتسمى أضلاع المثلث الهيجلي الجدلي في بعض الأحيان القضية والنقيض والمركب[2].

والجدل الهيجلي هو حوار العقل الخالص مع نفسه حواراً يفض فيه مكنوناته بحيث تتوالد مقولاته بعضها من بعض بنظام خاص. والعقل الجدلي عند هيجل ينتقل بمقولاته ونسيجه إلى ضده في الطبيعة، ثم يكون الانتقال التالي إلى مركب يجمع الطبيعة والمنطق أو العقل الخالص وهو الإنسان الذي يجمع بين الروح والمادة[3]

والخلاصة أن هيجل يصف الجدل بأنه: (حركة تكمن في جوف كل شيء بوصفها واقعه الروحي الحقيقي ، وهو في نفس الوقت حركة الفكر البشري)[4]

---

[1] زكريا، هيجل أو المثالية المطلقة، مرجع سابق، ص161

[2] ستيس، وولتر، فلسفة هيجل، ترجمة: د.إمام عبدالفتاح إمام، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1996م، ص135-136

[3] إمام، جدل الفكر، مرجع سابق، ص9

[4] إمام، جدل الفكر، مرجع سابق، ص9-10

خلاصة

فكرة الصراع أو التدافع من سنن الله التاريخية التي أودعها في الكون، فليس هنالك من حياة. كما يصورها القرآن الكريم. إلا من خلال الزوجية قال تعالى: ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ سورة الذاريات﴿٤٩﴾ فلا تكون المواليد إلا من ذكرٍ وأنثى، والطبيعة ومكوناتها لا تكون إلا من سالبٍ وموجب، وكذلك خصوبة الحياة الحضارية، إجتماعياً وثقافياً، لا تتم إلا عن وحيٍ وعقل، إيمان وعمل، بل إن القرآن يوجه الإنسان إلى أنه لولا تدافع الزوجين لا يكون في الكون صلاح يقول تعالى:﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ سورة البقرة﴿٢٥١﴾. بمعنى أنه لولا أن الله يدفع بعض الناس ببعض ويكف فسادهم لغلب المفسدون وفسدت الأرض، أي أن التدافع سنة من سنن الله التاريخية الماضية في الناس ليوازن بها الحياة الإجتماعية على مدار التاريخ. و ﴿بَعْضَهُمْ﴾ هم أهل الشرور في الدنيا أو في الدين أو مجموعهما ﴿ بِبَعْضٍ﴾ آخر منهم يردهم عما هم عليه بما قدره الله تعالى في أي شيء من الأشياء ﴿لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾ بطلت منافعها وتعطلت مصالحها من الحرث والنسل وسائر ما يصلح الأرض ويعمرها ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ أي أن من فضل الله على العالمين يدفع فساد بعضهم ببعض فلا تفسد الأرض وتنتظم بها . المدافعة . مصالح العالم وتنصلح بها أحوال الأمم.

ويقول تعالى:﴿ و لَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ سورة الحج﴿ ٤٠ ﴾ بمعنى أن الله تعالى أجرى العادة بذلك في الأمم الماضية لينتظم به الأمر وتقوم الشرائع وتصان التعبدات من الهدم.